أسرار سورة الفاتحة للإمام القاضي محمد بن فراموز بن علي الحنفي الرومي ملا خسرو المتوفى سنة ٨٨٥هـ

د. عواطف أمين يوسف البساطي

أستاذ التفسير المشارك بقسم القراءات

جامعة أم القرى

الملخص :

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن هذا البحث الموسوم بأسرار سورة الفاتحة للإمام القاضي محمد بن فراموز بن علي الحنفي الرومي ملا خسرو المتوفى سنة ٨٨٥هـ.

تناول فيها رحمه الله بيان معاني سورة الفاتحة على ثلاثة مناهج من مناهج المفسرين.

يهدف هذا البحث إلى إخراج نص رسالة أسرار الفاتحة للإمام ملا خسرو والتعليق على ما يحتاج إلى تعليق؛ وقد قسمت البحث إلى قسمين:

قسم الدراسة: وفيه التعريف بالمؤلف(ملا خسرو)، والتعريف برسالة أسرار سورة الفاتحة من حيث نسبتها إلى المؤلف ونسخها، ومنهج المؤلف فيها.

القسم الثاني: النص المحقق.

وتضمن صورًا من المخطوط؛والعمل فيه لإخراج النص أقرب ما يكون من مراد مؤلفه من تأليفه، والتعليق على ما يحتاج إلى تعليق.

ثم ختمتُ البحث بخاتمة ذكرتُ فيها أهم النتائج والتوصيات المتحصِّلة من البحث.

الكلمات المفتاحية: تفسير، رسالة، أسرار، سورة الفاتحة، ملا خسرو.

هذا والله تعالى أسأل أن يجعله علمًا نافعًا ولوجهه الكريم خالصًا

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل الكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب وجعل الحكمة من إنزاله التدبر في آياته كما قال ﷻ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩] وصلى الله وسلم وبارك على نبيه الأمين إمام المتقين الذي بعثه للثقلين الجن والإنس بشيرًا ونذيرًا وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرًا.

وبعد:

فهذه رسالة بعنوان: أسرار الفاتحة للإمام الحنفي الفقيه الجليل ملا خسرو.. تناول فيها بيان معاني سورة الفاتحة على ثلاثة مناهج من مناهج المفسرين، حيث وافق أهل السنة والجماعة في التفسير فمضى على طريقة التفسير الفقهي في الاستنباط من الآيات معتمدًا على الدلالات اللفظية، ووافق الصوفية في تفاسيرهم حيث يعتمدون الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وذكر المقامات، كما تضمنت الرسالة جانب التفسير الإشاري للآيات.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تتجلى بالتالي:

(١) شهرة مؤلفه في زمانه إمامًا معلمًا قائدًا قدوة فقيهًا قاضيًا يرجع إليه في أمور المعاش والمعاد.

(٢) كثرة مؤلفاته رحمه الله، غير أن المطبوع منها قليل جدًّا.

(٣) هذه الرسالة على قصرها تفيد الناظر في بيان خلاصة التفسير الإشاري.

(٤) الناظر في هذه الرسالة سيقف على منهج التفسير الصوفي فهي تعطي تصورًا واضحاً

لتفسير الصوفية من ذكر المقامات، وذكر بعض مصطلحاتهم كقوله: العارف، المشاهدة واعتماد الأحاديث الضعيفة والموضوعة في بيان المعنى.

(٥) أن المؤلف رحمه الله وإن كان صوفيًّاإلا أنه وافق أهل السنة والجماعة في بيان فضل سورة الفاتحة، وبيان مراتب الدين.

(٦) قلة المصنفات المفردة في التفسير الإشاري.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى إخراج نص رسالة أسرار الفاتحة للإمام ملا خسرو والتعليق على ما يحتاج إلى تعليق.

الدراسات السابقة

لم أقف على أي دراسة سابقة حول هذا المخطوط.

خطة البحث

قسمت البحثإلى مقدمة وقسمين وخاتمة ثم فهارس تسهل الرجوع إلى محتواه على النحو التالي:

- المقدمة: وفيها بعد الحمد والثناء ذكر لأهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهدافه والدراسات السابقة وخطة البحث ومنهج البحث:
- القسم الأول: قسم الدراسة ويشمل مطالب:
  - المطلب الأول: التعريف بالمؤلف.
  - المطلب الثاني: التعريف بالمؤلف.

- القسم الثاني: النص المحقق.

وفيه العمل لإخراج النص أقرب ما يكون من مراد مؤلفه، والتعليق على ما تقتضيه الحاجة.

منهج البحث:

سلكت فيه المنهج الاستقرائي الوصفي الذي يعتمد على:

(١) قراءة المخطوط واستنباط منهج المؤلف فيه.

(٢) نسخ المخطوط.

(٣) التعليق على ما يحتاج إلى تعليق على ما هو معهود في مثل هذه الدراسات من:

(٤) رد الآيات إلى مواضعها من سور القرآن الكريم بذكر اسم السورة ورقم الآية.

(٥) تخريج الأحاديث وبيان درجتها.

(٦) عزو ما يحتاج إلى عزو.

(٧) ختمت البحث بخاتمة.

المطلب الأول: التعريف بالمؤلِف[1]

التعريف بالمؤلَّف والمؤلِّف

هو محمد بن فرامرز بن علي الحنفي الرُّومي، الشهير بملا خسرو[2]،فقيه، أصولي، متكلم، بياني، مفسر.رومي الأصل. أسلم أبوه، ونشأ هو مسلمًا، فتبحر في علوم المعقول والمنقول، وتولى

(١)ينظر ترجمته في: الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (٨١٢-٨٩٣ هـ)، تحقيق سعيد بن غالب كامل المجيدي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة (١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨م)، (١/ ٨١)، الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر-أيار / مايو ٢٠٠٢م (٦/ ٣٢٨)، معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، عادل نويهض، قدم له مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ هـ-١٩٨٨م (٢/ ٦٠١)، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، عنى بتصحيحه وتعليق بعض الزوائد عليه: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، طبع بمطبعة دار السعادة بجوار محافظة مصر-لصاحبها محمد إسماعيل، الطبعة الأولى، ١٣٢٤ هـ، على نفقة أحمد ناجي الجمالي، ومحمد أمين الخانجي الكتبي وأخيه (ص١٨٤)، مفتاح السعادة، أحمد بن مصطفى بن خليل، أبو الخير، عصام الدين طاشكبري زاده، (٩٠١-٩٦٨ هـ -١٤٩٥-١٥٦١م)، (٢/ ٦١)، الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين، أحمد محرم الشيخ ناجي، الطبعة: الخامسة، (٨/ ٢٧٩)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، حققه محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦م (شذرات الذهب ٧/ ٣٤٢).

(٢) كذا ذكر صاحب شذرات الذهب (٩/ ٥١٢)، واشتهر أيضا بـ منلا، وملا، وابن فرامرز. انظر المصادر السابقة.

التدريس في زمان السلطان محمد بن مراد، بمدينة بروسة؛ وولي قضاء القسطنطينية، كان من كبار فقهاء الحنفية.

ولادته:

لم تذكر الكتب التي ترجمت له تاريخ ولادته، وإنما ذكر فقط أنه من أعلام القرن التاسع الهجري، ومِن مَن مات في سنة خمس وثمانين وثمانمائة[1]

أشهر شيوخه:

أخذ العلوم عن المولى برهان الدين حيدر الهروي وغيره[2]

أشهر تلامذته:

محمد بن أفلاطون البروسوي المعروف بأفلاطون زاده[3]العلّامة علاء الدّين علي بن أحمد الرّومي الحنفي الجمالي[4]

ثناء العلماء عليه:

(١) انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (١/ ٨١)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٩/ ٥١٢).

(٢) ملاحق تراجم الفقهاء الموسوعة الفقهية (٥/ ١١، بترقيم الشاملة آليا) المصدر: www.islam.gov.kwوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، شذرات الذهب ٧/ ٣٤٢ ، والفوائد البهية ١٨٤، والأعلام ٧/ ٢١٩.

(٣) ذكره الزركلي في الأعلام عند ترجمة محمد أفلاطون (٦/ ٤٠).

(٤) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/ ٢٥٧) في ترجمة علاء الدين.

قال ابن العماد: صار مفتيًا بالتخت السلطاني، وعظم أمره، وعمر عدة مساجد بقسطنطينية، توفي،ونقل إلى بروسة ودفن بها عام ٨٨٥هـ[1].

وكان ملا خسرو فقيهًا عظيمًا، وقد اشتهر كثيرًا من تلاميذه بعد وفاته، كما نال شهرة واسعة في التأليف. وقد شرح أهم كتابين من كتبه مرارًا وهما: "درر الحكام في شرح غرر الأحكام" وهو في أصول العبادات، كتبه عام ٨٧٧ - ٨٨٣ هـ الموافق ١٤٧٣ - ١٤٧٧ م (طبع بالقاهرة عام ١٢٩٤ وعام ١٣٠٥)، وكتاب "مرقاة الوصول في علم الأصول" (طبع بالقاهرة عام ١٢٦٢، إستانبول عام ١٣٠٤)[2].

وفاته:

توفي رحمه الله في مدينة القسطنطينية، ونقل إلى بروسة ودفن بها عام ٨٨٥هـ.

آثاره العلمية:

(١) الأجوبة في التفسير.

(٢) تعليقات على شروحات كشاف الزمخشري.

---

(١) شذرات الذهب ٧/ ٣٤٢.

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية، م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، إعداد وتحرير/ إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، عبد الحميد يونس، ترجمة / نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية، المراجعة والإشراف العلمي: أ. د. حسن حبشي، أ. د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، أ. د. محمد عناني، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ-١٩٩٨ م.

(٣) تفسير سورة تبارك.

(٤)رسالة في التسمية في أوائل السور.

(٥) حاشية على تفسير البيضاوي.

(٦) مرقاة الوصول إلى علم الأصول.

(٧) درر الحكام في شرح غرر الأحكام (في أحكام القرآن) مخطوط توجد نسخة منه بدار الكتب بتونس.

(٨) حاشية على المطول للتفتازاني في المعاني والبيان.

(٩) شرح العقائد العضدية للشريف الجرجاني.

(١٠) حاشية على التلويح.

(١١) وحاشية على تفسير البيضاوي[1].

وهذه الكتب كلها في عداد المخطوطات أو المفقودات إلا كتاب: "درر الحكام شرح غرر الأحكام" فإنه مطبوع متداول.

المطلبالثاني: التعريف بالكتاب

الفرع الأول: التعريف بالكتاب من حيث نسبته لمؤلفه، ووصف النسخة المعتمدة في التحقيق.

أولًا: اسم الكتاب ونسبته إلى الإمام القاضي ملا خسرو: رسالة في أسرار الفاتحة.

(١) انظر: الأعلام للزركلي، (٦/ ٣٢٨)، معجم المؤلفين، (١١/ ١٢٢).

هذه الرسالة للإمام ملا خسرو كما جاء منصوصًا عليه في خزانة التراث – فهرس مخطوطات. المؤلف: قام بإصداره مركز الملك فيصلالرقم التسلسلي: ٤٣٩١٠ما نصه:

أسرار الفاتحةاسم المؤلف: محمد بن فراموز بن علي، ملا خسرو، اسم الشهرة: ملا خسرو، اسم الشهرة: ابن فراموز، تاريخ الوفاة: ٨٨٥هـ، قرن الوفاة: ٩هـ[1].

وكما جاء في مقدمة الرسالة ما نصه: (هذه الرسالة التي هي بعنوان أسرار سورة الفاتحة لملا خسرو كما جاء منصوصًا عليه في أولها:(قال رحمه الله: هذه رسالة في أسرار الفاتحة لمولانا خسرو رحمة الله عليه).

ثانيًا: وصف النسخة:

أما الرسالة فهي– على ما وقفت عليه– نسخة وحيدة، موجودة في مكتبة عارف حكمت برقم (١٠٢/ ٢٢٨)، مصورة عن مكتبةقليج عليبمدينة: إستانبول/ تركيا، رقم الحفظ: ١٠٢٨، ٤١.

ثالثًا: مميزات النسخة: تميزت هذه النسخة بالتالي:

(١) أنها كتبت بخط فارسي واضح، كما هو مشهور عند الأتراك.

(٢) عدم وجود سقط أو تصحيف فيها.

(٣) خلوها عن التعليقات والإضافات في هوامشها.

(٤) فيما بدا لي أنها كتبت بخط مصطفى خضر الحنفي شهر محرم عام ٩٨٧ه.

(١) ينظر(٤٥/ ٦٧).

(٥)المخطوط قرابة أربع لوحات في كل لوحة واحد وعشرون سطرًا، كل سطر يحوي (١١-١٢ كلمة)، موجود ضمن مجموع.

الفرع الثاني: منهجه في الرسالة،أوجز أهم ما وقفت عليه في منهجه بالتالي:

افتتح الرسالة بمقدمة ذكر فيها بعد الحمد والثناء اسم الرسالة بقوله: (وبعد فهذه رسالة في أسرار الفاتحة).

أولًا: بنى تفسيره على منهج الاستنباط حيث ذهب إلى أن من مقتضيات الحمد التفكر في أحوال الآفاق بقوله: (الذكر لله تعالى المستفاد من الحمد لله، والفكر من أحوال الآفاق والأنفسالمستفاد من (رب العالمين) والتأمل في أسمائه والنظر في الآية المستفاد من (الرحمن الرحيم) والاستدلال بصنائعه على عظيم شأنه وباهر سلطانه المستفاد من (مالك يوم الدين).

ثانيًا: أشار إلى أهمية توحيد الألوهية بقوله: (قوله تعالى: (الحمد لله) إشارة إلى وجود ذاته ووحدانيته واتصافه بالصفات الكمالية؛ وتوحيد الربوبية بقوله: ((رب العالمين) إشارة إلى كونه مبدأ للموجودات).

ثالثًا: بيّن فضل القرآن الكريم على سائر الكتب السماوية وفضل سورة الفاتحة بقوله:(أطبق العلماء المتدربون واتفق الفضلاء المتدبرون على أن الله تعالى أنزل مائة وأربعة كتب وجمع معانيها في التوراة والإنجيل والزبور وجمع معاني هذه الثلاثة في القرآن، وجمع معاني القرآن في المفصل ومعاني المفصل في الفاتحة.

وسره أنك قد عرفت أن المقصود من إنزال الكتب تكميل النفوس بحسب القوتين النظرية

والعمليةوبيان درجات السعداء ودركات الأشقياء).

رابعًا: أشار إلى أهمية الإخلاص لله بالتوحيد بقوله:(إياك نعبد فإذا وصل إلى مرتبة الإخلاص صار على خطر عظيم بمقتضى قوله عليه السلام: «المخلصون على خطر عظيم»فيجب الاستعانة به تعالى).

خامسًا: ذكر مراتب الدين وأن في الالتزام بها نجاة من عقاب الله يوم المعاد بقوله:(لأن العبد بعدما عرف وجوده تعالى ووحدانيته واتصافه بالصفات الكمالية وتيقن [٢٧٩/ ب] أنه تعالى موجد الموجودات ومتقنها، ومعطي جلائل النعم ودقائقها وعاجلها وآجلها، وأنه تعالى مجازيعلى الأعمال يوم القيامة، إن خيرًا فالثواب،وإن شرًّا فبالعقاب؛ يحصل له مرتبة الإيمان والإسلام والإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

كلمة)، موجود ضمن مجموع.

الفرع الثاني: منهجه في الرسالة،أوجز أهم ما وقفت عليه في منهجه بالتالي:

افتتح الرسالة بمقدمة ذكر فيها بعد الحمد والثناء اسم الرسالة بقوله: (وبعد فهذه رسالة في أسرار الفاتحة).

أولًا: بنى تفسيره على منهج الاستنباط حيث ذهب إلى أن من مقتضيات الحمد التفكر في أحوال الآفاق بقوله: (الذكر لله تعالى المستفاد من الحمد لله، والفكر من أحوال الآفاق والأنفسالمستفاد من (رب العالمين) والتأمل في أسمائه والنظر في الآية المستفاد من (الرحمن الرحيم) والاستدلال بصنائعه على عظيم شأنه وباهر سلطانه المستفاد من (مالك يوم الدين).

ثانيًا: أشار إلى أهمية توحيد الألوهية بقوله: (قوله تعالى: (الحمد لله) إشارة إلى وجود ذاته

ووحدانيته واتصافه بالصفات الكمالية؛ وتوحيد الربوبية بقوله: ((رب العالمين) إشارة إلى كونه مبدأ للموجودات).

ثالثًا: بيّن فضل القرآن الكريم على سائر الكتب السماوية وفضل سورة الفاتحة بقوله:(أطبق العلماء المتدربون واتفق الفضلاء المتدبرون على أن الله تعالى أنزل مائة وأربعة كتب وجمع معانيها في التوراة والإنجيل والزبور وجمع معاني هذه الثلاثة في القرآن، وجمع معاني القرآن في المفصل ومعاني المفصل في الفاتحة.

وسره أنك قد عرفت أن المقصود من إنزال الكتب تكميل النفوس بحسب القوتين النظرية والعمليةوبيان درجات السعداء ودركات الأشقياء).

رابعًا: أشار إلى أهمية الإخلاص لله بالتوحيد بقوله:(إياك نعبد فإذا وصل إلى مرتبة الإخلاص صار على خطر عظيم بمقتضى قوله عليه السلام: «المخلصون على خطر عظيم»فيجب الاستعانة به تعالى).

خامسًا: ذكر مراتب الدين وأن في الالتزام بها نجاة من عقاب الله يوم المعاد بقوله:(لأن العبد بعدما عرف وجوده تعالى ووحدانيته واتصافه بالصفات الكمالية وتيقن [٢٧٩/ ب] أنه تعالى موجد الموجودات ومتقنها، ومعطي جلائل النعم ودقائقها وعاجلها وآجلها، وأنه تعالى مجازيعلى الأعمال يوم القيامة، إن خيرًا فالثواب،وإن شرًّا فبالعقاب؛ يحصل له مرتبة الإيمان والإسلام والإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

الفرع الثالث: مميزات الكتاب والمآخذ عليه:

من خلال قراءتي للرسالة تبيّن لي أنها تميزت بالتالي:

(١) قوة مؤلفها ورسوخه ودقة استنباطه.

(٢) أنه رحمه الله أصولي مفسر بلاغي.

(٣) أنه وافق أهل السنة في غالب نقاط هذه الرسالة.

مما يؤخذ عليه:

(١) موافقته للصوفية في تفسيرهم حيث استخدم مصطلحاتهمفذكر المقامات، والمشاهدة، والعارف.

(٢) اعتمد في بيان المعنى على الحديث الضعيف بل الموضوع أحيانًا، وهذا أيضًا موافق لمنهج الصوفية في تفاسيرهم.

وصف النسخة المعتمدة في التحقيق:

هذه الرسالة نسخة وحيدة كتبت بخط فارسيموجودة في مكتبة عارف حكمت رقم (١٠٢/ ٢٢٨).

صور من المخطوط

قال رحمه الله: هذه رسالة في أسرار الفاتحة لمولانا خسرو رحمة الله عليه.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا وآله وصحبه أجمعين، وبعدفهذه رسالة في أسرار الفاتحة بنى أول الكلام على ما هو مبادئ حال العارف(١)من الذكر لله تعالى المستفاد من

(١) العارف: المحقق يجوز له التدين بدين اليهود والنصارى، ولا يجب عليه الاعتصام بالكتاب والسنة، وأمثال هؤلاء.

فإن هؤلاء منافقون زنادقة، وإذا ظهر على أحدهم فإنه يجب قتله باتفاق المسلمين، وهم كثيرون في هذه الأزمنة. ينظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م (٤/ ٢٢٢)، وقيل: يطلق على كل عابد منصرف بفكره إلى قدس الجبروت مستديمًا لشروق نور الحقّ في سرِّه. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨ م، (٢/ ١٤٦٨). قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين، مبينًا من هو العارف عند الصوفية:(العارف عندهم من عرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ثم صدق الله في معاملته، ثم أخلص له في قصوده ونياته، ثم انسلخ من أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم تطهر من أوساخه وأدرانه ومخالفاته، ثم صبر على أحكام الله في نعمه وبلياته، ثم دعا إليه على بصيرة بدينه وآياته، ثم جرد الدعوة إليه وحده بما جاء به رسوله، ولم يشبهها بآراء الرجال وأذواقهم ومواجيدهم ومقاييسهم ومعقولاتهم، ولم يزن بها ما جاء به الرسول عليه من الله أفضل صلواته، فهذا الذي يستحق اسم العارف على الحقيقة، إذا سمي به غيره على الدعوى والاستعارة.) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن

الحمد

لله، والفكر من أحوال الآفاق والأنفس(١) المستفاد من ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ والتأمل في أسمائه والنظر في الآية المستفاد من ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ والاستدلال بصنائعه على عظيم شأنه وباهر سلطانه المستفاد من ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، ثم قفى أي عقب بما هو منتهى أمره وهو أن يخوض أي يدخل لجة الوصول - لجة الماء معظمه، ويستعمل في وسط البحر- ويصير من أهل المشاهدة فيراه عيانًا ويناجيه شفاهًا.

قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ-١٩٩٦م، (٣/ ٣١٦).

(١) لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ (فصلت: ٥٣). قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها: أي: سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقا منزلا من عند الله، عز وجل، على رسوله صلى الله عليه وسلم بدلائل خارجية {في الآفاق}، من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان. قالمجاهد، والحسن، والسدي: ودلائل في أنفسهم، قالوا: وقعة بدر، وفتح مكة، ونحو ذلك من الوقائع التي حلت بهم، نصر الله فيها محمدا وصحبه، وخذل فيها الباطل وحزبه. ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاط والهيئات العجيبة، كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى. وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة، من حسن وقبيح وبين ذلك، وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله، وقوته، وحيله، وحذره أن يجوزها. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م (٧/ ١٧٨).

وأنت خبير بأن ظاهره مخالف لما عليه جمهور أهل السنة كيف وقد قال النبي ﷺ: «إن أحدكم لن يرى ربه حتى يموت»[1]، وقال: «نور أنى أراه»[2] حينقال له أبو ذر: هل رأيت ربك؟فلا

(١) أخرجه مسلم،المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر بن صياد، ح(١٦٩).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب باب كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد، ح (١٦٩)؛ في قوله عليه السلام: «نور أنى أراه»، وفي قوله: «رأيت نورا» حديث (٧٨). في صحيحه كتاب الإيمان، بَابٌ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»، ح(١٧٨)، والترمذي وقال هذا حديث حسن. ينظر: الجامع الكبير-سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي-بيروت١٩٩٨م، كتاب القراءات، بابٌ ومن سورة النجم (٣٢٨٢).وأحمد ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط-عادل مرشد، وآخرون، إشرافد. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، (الطبعة الأولى)، (١٤٢١ هـ-٢٠٠١م)، (٣٥/ ٣١١). نقل الإمام النووي رحمه الله عن المازري:(قال الإمام أبو عبد الله المازري رحمه الله: الضمير في أراه عائد على الله سبحانه وتعالى ومعناه أن النور منعني من الرؤية كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائى وبينه وقوله صلى الله عليه وسلم: (رأيت نورا) معناه رأيت النور فحسب ولم أر غيره، قال: وروي (نوراني أراه) بفتح الراء وكسر النون وتشديد الياء ويحتمل أن يكون معناه راجعا إلى ما قلناه أي خالق النور المانع من رؤيته فيكون من صفات الأفعال)ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ه، (٣/ ١٢)، وقال القرطبي

بد من تأويل وهو أن يقال: إن كمال الإعراض عما سواه تعالى وتمام التوجه إلى حضرته توجب أن لا يكون للعبد

في لسانه وقلبه ووهمه وسره غيره تعالى، فإذا ترسخ، هذه الحالة تسمى مشاهدة[1]، لمشاهدة البصير إياه وإشغال القلب والقالب به وإليه يشير قول بعض العارفين[2][٢٧٩/ أ]:

رحمه الله:(وأنَّى أراه استفهام على جهة الاستبعاد؛ لغلبة النور على بصره كما هي عادة الأنوار الساطعة كنور الشمس، فإنه يُغشي البصر، ويحيره إذا حدّق نحوه، ولا يعارض هذا: رأيتُ نورًا، فإنه عند وقوع بصره على النور رآه، ثم غلب عليه بعد، فضعُف عنه بصره. ولا يصح أن يُعتقد أن الله نور كما اعتقده هشام الجواليقي وطائفة المجسّمة ممن قال: هو نور لا كالأنوار؛ لأن النور لون قائم بالهواء، وذلك على الله تعالى محال عقلًا ونقلا.)، ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨-٦٥٦ هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو-أحمد محمد السيد-يوسف علي بديوي-محمود إبراهيم بزال، (دار ابن كثير، دمشق-بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق-بيروت)، الطبعة الأولى، (١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، (١/ ٤٠٧).

(١) المشاهدة: إحدى مقامات الصوفية، وعرفها القشيري بأنها: حضور الحق من غير بقاء تهمة. قال عمرو بن عثمان المكي رحمه الله: ومعنى ما قاله: أنه تتوالى أنوار التجلِّي على قلبه من غير أن يتخللها ستر وانقطاع كما لو قُدر اتصال البروق، فكما أن الليلة الظلماء بتوالي البروق فيها، واتصالها، إذ قدرت تصير في ضوء النهار، فكذلك القلب إذا دام به دوام التجلي مَتع نهاره فلا ليل. انظر: الرسالة القشيرية، القشيري، أبو القاسم عبد الكريم، تحقيق: د. عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، دار المعارف القاهرة، (١/ ١٨٤).

(٢) هو أبو الحكم بن غلندو الأشبيلي، ولد بأشبيلية وبها نشأ، وكان أديبًا شاعرًا جيد الشعر متفننًا متميزًا بصناعة الطب، وتوفي بمراكش سنة ٥٨٧هـ، انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، (٣/ ١١٩٤).

خيالك في وهمي وذكرك في فمي وحبك في قلبي فأين تغيب[1]

وهو المحمل للحديث القدسي الذي رواه الإمام البخاري[2]عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا**»[3] وإليه أشار عليه السلام الإحسان: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»[4] وقول: كأن، إشارة إلى أن حذفها يقتضي المعاينة الحقيقية وهي لاتوجد في الدنيا[5]وسأذكر في آخر الفاتحة وجهًا وجيهًا موافقًا لقواعد المعقول والمنقول

(١) البيت لأبي الحكم الأشبيلي، وصوابه:خيالك في وهمي وذكرك في فمي .. ومثواك في قلبي فأين تغيب. ذكره ياقوت الحموي في معجم الأدباء(٣/ ١١٩٤).

(٢) صحيح البخاري كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث(٦٥٠٢).

(٣) قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (قال الطوفي: هذا الحديث أصل في السلوك إلى الله والوصول إلى معرفته ومحبته وطريقه إذ المفترضات الباطنة وهي الإيمان، والظاهرة وهي الإسلام، والمركب منهما وهو الإحسان فيهما كما تضمنه حديث جبريل، والإحسان يتضمن مقامات السالكين من الزهد والإخلاص والمراقبة وغيرها). ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة-بيروت، ١٣٧رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١١/ ٢٤٥).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل، حديث(٥٠)، ومسلم في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، (٩).

(٥) قوله: وهي لا توجد في الدنيا يقصد رؤية الله تعالى؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى: "أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم في الآخرة وأجمعوا على أنهم لا يرونه في الدنيا

ومقبولًا عند أولي الألباب من الفحول إن شاء الله تعالى.

اعلم أني قد سبق مني الوعد أن أذكر وجهًا وجيهًا فأقول وبالله التوفيق:

أطبق العلماء المتدربون واتفق الفضلاء المتدبرون على أن الله تعالى أنزل مائة وأربعة كتب، وجمع معانيها في التوراة والإنجيل والزبور، وجمع معاني هذه الثلاثة في القرآن، وجمع معاني القرآن في المفصل، ومعاني المفصل في الفاتحة[1].

بأبصارهم .. ومن قال من الناس: إن الأولياء أو غيرهم يرى الله بعينه في الدنيا فهو مبتدع ضال مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة؛ لا سيما إذا ادعوا إنهم أفضل من موسى فإن هؤلاء يستتابون؛ فإن تابوا وإلا قتلوا) الفتاوى الكبرى لابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م. (٦/ ٥١٢).

(١) ذكره ابن القيم رحمه الله بقوله: فإذا قال: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} ففيها سر الخلق والأمر والدنيا والآخرة وهي متضمنة لأجل الغايات وأفضل الوسائل، فأجل الغايات عبوديته وأفضل الوسائل إعانته فلا معبود يستحق العبادة إلا هو ولا معين على عبادته غيره، فعبادته أعلى الغايات وإعانته أجل الوسائل، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى مائة كتاب وأربعة كتب جمع معانيها في أربعة: وهي التوراة والإنجيل والقرآن والزبور، وجمع معانيها في القرآن وجمع معانيه في المفصل وجمع معانيه في الفاتحة وجمع معانيها في: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}. وقد اشتملت هذه الكلمة على نوعي التوحيد: وهما توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية، وتضمنت التعبد باسم الرب واسم الله فهو يعبد بألوهيته ويستعان بربوبيته ويهدي إلى الصراط المستقيم برحمته)، ينظر: الصلاة وأحكام تركها، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة، (١/ ١٤٤).

وسره أنك قد عرفت أن المقصود من إنزال الكتب تكميل النفوس بحسب القوتين النظرية والعملية[1]وبيان درجات السعداء ودركات الأشقياء، وتكميلها باعتبار الأولى بمعرفة المبدأ والمعاد وما بينهما؛وباعتبار الثانية بالعمل بما يلائم نظام المعاش ونجاة المعاد ومقتضاهما تحصيلًا لسعادة الدارين، وإحرازًا لفضيلة الكونين، والفاتحة تفيد جميع ذلك.

فأقول: قوله تعالى:﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾إشارة إلى وجود ذاته ووحدانيته واتصافه بالصفات الكمالية.

وقوله عز وجل:﴿ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾إشارة إلى كونه مبدأ للموجودات.

وقوله عز وجل:﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾إشارة إلى ما بينهما فالمجموع يفيد الإشارة إلى تكميل باعتبار الأولى.

وقوله عز وجل:﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ إشارة إلى المعاد وإلى الوعد للحاملين العاملين[2]والوعيد للمعرضين المقصرين.

وقوله عز وجل:﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾يفيد الإشارة إلى التكميل باعتبار الثانية، وقد التفت من الغيبة

(١) القوة التي بها تتأثّر النفس وتستفيض من المبادئ العالية لتكميل جوهرها من التعقّلات تسمّى قوة نظريّة وعقلًا نظريًّا، والتي بها تؤثّر في البدن وتتصرّف فيه لتكميل جوهره تسمّى قوة عملية وعقلًا عمليًّا. انظر: كشاف الفنون للتهانوي، (٢/ ١١٩٧).

(٢) قوله الحاملين إشارة إلى قوله تعالى: "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ"، فالإنسان الذي حمل الأمانة فآمن بالله واتبع رسوله وعمل بشريعته هو من الحاملين العاملين.

إلى الخطاب لأن العبد بعدما عرف وجوده تعالى ووحدانيته واتصافه بالصفات الكمالية وتيقن [٢٧٩/ ب] أنه تعالى موجد الموجودات ومتقنها، ومعطي جلائل النعم ودقائقها وعاجلها وآجلها، وأنه تعالى مجازي الأعمال يوم القيامة، إن خيرًا فالثواب وإن شرًّا فبالعقاب؛ يحصل له مرتبة الإيمان والإسلام والإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وإليه أشار بقوله: إياك نعبد فإذا وصل إلى مرتبة الإخلاص صار على خطر عظيم بمقتضى قوله عليه السلام: «**المخلصون على خطر عظيم**»(١) فيجب الاستعانة به تعالى.

وإليه أشار بقوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ثم أن لا يخطر إما بفقدان الموجود وهو ظاهر، أو بالعجز عن وجدان المقصود فوق المقصود بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم: «من استوى يوماه فهو مغبون»(٢) فإن بيْن الله تعالى وبيْن العبد سبعين ألف مقام(١) وقد ضبطها بعض

(١) ليس بحديث وإنما هو أثر عن سهل بن عبد الله قال: الدنيا جهل وموات إلا العلم، والعلم كله حجة إلا العمل به. والعمل كله هباء إلا الإخلاص، والإخلاص على خطرٍ عظيم حتى يختم به. انظر: اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي، ص٢٩. وذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق بسنده إلى ذي النون المصري أنه كان يقول:"الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء كلهم نيام إلا العاملون، والعاملون كلهم مغترون إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم". تاريخ دمشق، (١٧/ ٤٣٠). وحكم الألباني بأنه موضوع في السلسلة الضعيفة (١/ ١٧٤)، حديث٧٦. وقال: هو شبيه بكلام الصوفية.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٣٥) بإسناده إلى إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ، يَقُولُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ، رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَنَامِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ عِظْنِي قَالَ: ((مَنِ اسْتَوَى يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ)).

العارفين في ألف، فعلى المخلصين أن يطلب الترقي في كل حال من مقام إلى مقام عال وإليه أشار بقوله تعالى:﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فإنه إن أريد به الثبات على ما وجده كان لدفع الخطر الأول، وإن أريد به الزيادة عليه كان لدفع الثاني، ولما كان فيه نوع خفاء بينه على سبيل الإبدال بصراط الكاملين المكملين للقوتين وهو قوله:﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ فإن إطلاق الإنعام المقتضي للانصراف الكامل يقتضي الحمد على ما ذكرنا؛ ثم إن المنعم عليه المذكور لما كان جامعًا بين تكميل القوة النظرية بالعلوم الفائضة وبين تكميل القوة العملية بالأعمال اللائقة وكان المخل بالعمل فاسقاً مغضوبًا عليه، وبالنظر جاهلاً ضالاً كما سبق أردفه بذكرها بيانًا لحال الأشقياء الأشرار بعد بيان حال الأتقياء الأخيار. فإن بيان الثانية بعد ما كان مقصودًا في نفسه يفيد زيادة الأولى إذ بضدها يتبين الأشياء. تمت

(١) قال السراج الطوسي في كتاب اللمع: إن قيل ما معنى المقامات؟ يقال: معناه مقام العبد بين يدي الله عز وجل، فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضيات والانقطاع إلى الله عز وجل.وذكر محيي الدين ابن عربي؛ أنه عدها فبلغت ستين ألفًا من المقامات والأحوال الربانية.

الخـاتمة

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه على ما يسر وأنعم ووفق لإتمام هذا العمل، وإياه سبحانه أسأل الإخلاص والقبول. **وبعد:**

فإن أبرز ما توصلتإليه من نتائج هذه الدراسة هو كالتالي:

الأوضاع السياسية التي شهدتها تركيا والمنطقة حولها في القرن التاسع، والتيدفعت العلماء إلى تكريس جهدهم لخدمة العلم والمحافظة عليه.

إن الإمام ملا خسرو من مشهوري علماء القرن التاسع الهجري وإن كان مغمورًا في عصرنا لقلة مصنفاته وتوجهه إلى التعليم الشفوي المباشر.

تعد رسالة أسرار الفاتحة من الرسائل الجامعة حيث حوت مناهج عدة من مناهج المفسرين.

هذه الرسالة تعد خلاصة للتفسير الإشاري والتفسير الصوفي مع موافقتها للتفسير السلفي في جزء منها.

أنه رحمه الله فقيه حنفي، وإن كان اشتهر بحاشيته على تفسير البيضاوي فلا تقل أسرار الفاتحة عنها من حيث الأهمية، إلا أنها لم تحظ بالنشر، ولعل في إخراجها دافع إلى العناية بمؤلفاته.

أما أهم التوصيات:

تجدرالإشارة إلى أهمية الاعتناء بكتب السلف، خاصة المتقدمين. والسعي إلى إخراجها لنفع الأمة مع التنبيهوالإشارة إلى ما فيها من مخالفات عقدية وبيان المنهج السلفي فيها.

فقد تم بفضل الله وتوفيقه إخراج هذه الرسالة التي هي بعنوان: أسرار الفاتحة للقاضي ملا خسرو،والله أسأل أن يتقبلها بمنه وكرمه وأن يعم نفعها؛ وصلى الله على سيدنا محمد الذي أرسله رحمة للعالمين بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.